خفة الهواء تعود اليها

تمشط شعرها بعد حمامها الصباحي، لا يزال يحتفظ بحريريته رغم "الفضي" الذي استبدل لونه البني، تعبث أمام المرآة بأطراف أصابعها في خصلات شعرها، من جهة إلى الأخرى، وتبتسم لفشلها في الحصول على أي أثر للون السابق، تلفُّ شعرها الطويل في كعكة مستديرة خلف رأسها، وتنشر المنشفة.

قلقة هي ومسهدة، منذ عدة أيام تبحث عن شيء ما، وكيف نجد مانجهله مهما طال أمد البحث عنه.

تمسك بالقلم عدة مرات في اليوم وتتركه بنفس عدد المرات، غريب عليها ذلك الإحساس الغامض، هل تريد أن تكتب؟.. هل تريد النزهة على شاطئ البحر القريب؟.. ترى ما الذي يستبيح إقلاقها وتسهيدها المعذب ذاك؟.. ليس لون الشعر أكيد، فلم يتلون بين يوم وضحاها على كل حال، أقسى الحالات على النفس، تلك التي

تشدنا للبحث عما نجهله وهو قابض على أعصابنا وأوقاتنا وحتى في نومنا يطاردنا كعدو.

تنبش في تجاويف الذاكرة ساهمة وهي تصنع كوب القهوة الصباحي، ربما يكمن السبب في تلك الصورة التي أرسلها لها أحد زملاءها وقت كانوا بالجامعة، تقبع مع بعضهم داخل القفص الحديدي راسمة علامة النصر بكلتا اليدين،كانوا مبتسمين يقفون على أرض الحلم، مصدقين، محلقين، تكاد تنبت لهم أجنحة، فيحلقون فوق الواقع أكثر وأكثر، يطيرون في خفة الهواء، رغم ما تحمله صدورهم اليانعة من هموم تكبر أعمارهم.

لم يقتنع رأسها بكل ما يعرضها عليها، كاحتمالات لمساعدتها في كشف سبب القلق المبهم.

تأخذ كوب القهوة وتزفر بشكل محايد يعكس حالة التواه، التي تعتريها.. تتجة إلى مكتبها، كانت بعض نثارات الجُمل تعيش في فوضى بطول الصفحة، فقد اعتادت أن تسجل ما يجود به وحيها الخاص، هكذا كنقاط لا رابط بينها، حتى أنها كتبت على جانب الصفحة كلمات

إحدى الأغنيات لأم كلثوم"أنا لن أعود اليه مهما استرحمت دقات قلبي"..

أكدت لنفسها ليلتها أن عقلها وقلبها ما عادا كالسابق يتساهلان مع من لا يستحق شغفها وصدقها، فقد دربتهما على التشفير والإلغاء منذ مدة، قد تكون تلك الكلمات هي بداية الخيط الذي لو فككت كرته تظهر لها منطقية تلك الحالة التي لا تريد أن تتركها.

منذ عدة أيام ألقت إلي مكتبها بتحية الصباح كعادتها، وقد بدأت مخاوفها المؤرقة تنزاح قليلا، تتصفح بقية الأسطر براحة أكثر مع ارتشاف قهوتها،"غربتي تتشابه مع غربة مسلات الأجداد المصرية القديمة، التي سرقت ونهبت لتملأ ميادين بلدان أخرى، تقف وسط ميادين غريبة باردة مثلها..

جزء من روحي اعتاد العراك معي كمراهق تائه لا يشغله سوى تمرده.. وكأنني في رقصةٍ طقسية، أحاول البحث عن مصير أريده.. ولا أدري لم فُطِر العقل على الولوج للماضي كثيرا؟.. هل نقدر على تقديم

استقالاتنا لهذا الحاضر المعطوب؟.. لماذا يعيش أغلبنا داخل دوائر الماضي المغلقة؟.. وكيف نستعيد الدهشة من جدبد ..؟

عندما ننضج تتضح الرؤى أكثر، نصبح نحن محور أحلامنا، ويفك ذاك الاشتباك القديم بين ما نريده ونوده ونحلم به، وبين من كانو يستحوزون على كل كياناتنا ، أوقاتنا وتفكيرنا، وحركتنا اليومية في الحياة لأجلهم حبا أو قصرا.

لكنها أمام تلك السطور الباقية استردت جلجلة ضحكتها، التي اعتادتها، وكأنها حصلت على جائزتها بعد قلق تلك الأيام: " كنت جاهزة لأرافقه حتى الباب.. أخرجه براحةٍ، وأودعه بابتسامةٍ، يكفيني أن يذهب بعيدا، لكني سأصفع بابي ولن أتمنى له السلامة."

زفرتْ في راحة مبتسمة، وظلت تتراقص مع أنغام الموسيقى، تردد في همسٍ كلمات "جبران":

" التحدث مع شخص لا يعرف المنطق، أشبه بإعطاء الدواء لجثةٍ."